الفسيفساء ذي الزخارف المزهرة
في سورية خلال العصر البيزنطي

د. فاتن الحوراني

الملخص

الفسيفساء هو فن زخرفي معماري استخدم في كسوة أرضيات القصور والفلل الرومانية والكنائس بعد ظهور الديانة المسيحية. وتنوعت الموضوعات التي جسدها الفنان، ففي البداية اعتمد المشاهد الميثولوجية ومع حلول الديانة المسيحية تم تحريم هذه التصاوير، وحلت محلها المشاهد الحيوانية والنباتية والهندسية. وفي هذا البحث سنقدم موجزاً عن نوع من أنواع الفسيفساء الأرضية التي عرفت باسم الفسيفساء السجادي، تم فيها تمثيل أزهار محورة عن الطبيعة بنماذج عدة، وقد تكون مرافقة لتصويرات حيوانية أو زخارف هندسية أو تشكل لوحدها أساس الحقل في اللوحات الفسيفسائية، ويتم توزيعها إما بخطوط متوازية فيما بينها وإما بشكل عشوائي على أن تملأ الأرضية كاملة.

هذه اللوحات الفسيفسائية نفذت في أمثلتنا الواردة بطريقتين: الأولى: نفذت بمكعبات متوازية أفقية وعمودية وبالألوان المراد تنفيذها لتتشكل اللوحة، أما الطريقة الثانية: فقد نفذت فيها المكعبات بأسلوب مقوس متراصة فوق بعضها بعضاً لتعطي الشكل الحرشفي، وضمن كل حرشفة نشاهد زهرة محورة عن الطبيعة لتشكل الخلفية المراد تنفيذها.

Mosaic of flowering decorations in Syria during the Byzantine period

Dr.. Faten Hourani

Abstract

The Mosaic is an architectural decorative art, which used at livery the floors of palaces and Roman villas and in the churches after the apperance of christianrelegion.

The artist varies the topics, which used at the mosaics, in the beginning he depends onmethology sights and with in the Christian religion Spread that topics were forbidden and replaced by geometric, botanic and animal sights.

In our research, we will provide abstract about one sort of grounds mosaic, which are called the carpeting mosaics that depend on different finds of nature centered flowers, which a ccompaning with animal sights or geometric decorations, or form the major of mosaic field.

These flowrs are distributed in parallel lines or random form, but at the two conditions they must be in the whole floor.

These mosaics are made in our examples by two ways: first it is executed by parallel and verticals cubes, with intend colours to form the board.

The second: one the boared is executed by compacting cubes with curved style to give the scaly style, in each squama we can notice the nature centered flowers give the required ground.

السجاد الفسيفسائي في سورية خلال العصر البيزنطي

التمهيد

تعد الفسيفساء mosaic وجها من أوجه الفن المجسدة للأفكار والأحاسيس والذوق لمتقني تصنيعها، وهي واحدة من بقايا التراث المادي والشاهد الأبرز على غنى أغلب المنشآت المعمارية (حمامات، منازل، كنائس، أقبية و قبور) التي تعود للفترة الرومانية والبيزنطية.

وترك المجتمع الوثني ومن بعده المسيحي رصيدا من الرسائل المسجلة على لوحات ذات مغزى ومعنى مغاير للمغزى الجمالي، فكانت هذه الشواهد من اللوحات الفسيفسائية تحفة في الزخرفة المعمارية وحاليا هي مادة أثرية ووثيقة تاريخية ومصدر معلومات للمؤرخين والأثريين.

ومع أن المنطقة المأخوذة بالحسبان في هذه الدراسة والمقتصرة على سورية الحالية، التي كانت قد انضمت في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد إلى إمبراطورية الإسكندر المقدوني[1] الواسعة وتهلينت خلال العصر الهلنستي، فإن الاكتشافات الأثرية التي تتعلق بلوحات الفسيسفساء التي تعود إلى هذه الفترة تعد معدومة حتى الآن، ولكن تم اكتشاف أقدم لوحة في مبنى التركلينوس في مدينة أفاميا[2] تميزت بزخارفها الهندسية البسيطة، مؤرخة على القرن الأول الميلادي.

1. أصل ومعنى الفسيفساء

أصل الكلمة لفظا لاتيني –Opus Musium وتعني -Mosaïque – المشتقة من الكلمة الإغريقية – Musé - أو من الكلمة اللاتينية - Musium Opus -وهي تعني الأعمال الفسيفسائية المنفذة على مساحات واسعة باستعمال قطعٍ متنوعة من المواد والأشكال والألوان؛ إذ

[1] الإسكندر المقدوني: أحد ملوك مقدونياالإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين و الفاتحين عبر التاريخ، قاد حملة على بلاد فارس و تمكن من دحر الفرس في معركة إيسوس الشهيرة بالقرب من سورية الحالية لتكون فاتحة للشرق.

[2]Balty ,J, Mosaïques Antiques de Syrie, Bruxelle, 1977, P. 13, 491.

يجمعها ويزرعها الفنان فوق طبقةإسمنتية بطريقة منتظمة وفقا لمخطط مسبق. وكانت تسمى تلك القطع ب-Abaskiskai -عند الإغريق و ب -Abaculi - عند الرومان، وكان اللفظ الأكثر شيوعاً واستعمالاً هو - Tessellae -ومعناه بالفرنسية -Tesseles - أما في اللغة العربية لفظها مشتق من الفعل –فسفس– بمعنى ركب تركيبة من عناصر مختلفة ليشكل تركيبة – فسيفساء– بمعنى مركب من عناصر مختلفة[3].

إذا الفسيفساء فنياً تعني وصل أو تجميع لقطع من المواد الصلبة المتنوعة الألوان والأحجام بطريقة جيدة والمرتبطة بدورها بالعمارة التي من أجلها أوجدت لزخرفة الأرضيات والجدران وهي على نوعين: التبليطات الأرضية (Pavement) التي ظهرت بآسيا الصغرى في القرن الثامن ق.م، والجدارية من القرن الأول ميلادي بالغرب[4].

2. تطور فن وتقنيات الفسيفساء:

من خلال تنوع وتعدد اللوحات الفسيفسائية المكتشفة في سورية التي تعود بمجملها للعصرين الروماني والبيزنطي، تم تصنيف هذه اللوحات ضمن ثلاث مراحل أساسية:

❖ **المرحلة الأولى:** تمتد منذ الأصول وحتى القرن الثالث بعد الميلاد، وتميزت بتقليد الفسيفساء الإغريقية في الموضوعات المعالجة، أي الميثيولوجية بحيث شاع استعمالها لدى الطبقة البرجوازية. ومع بداية القرن الثاني الميلادي أي خلال حكم السلالة الأنطونية (138–161) ومن بعدها السلالة السيفيرية (193–198) شهدت سورية نشاطاً عمرانياً وفنياً، تجسد ببراعة الفنان المتمثلة بالتدرج بالألوان وظهور تقنية التظليل الذي يعتمد على التباين بين منطقة الظل والضوء ضمن إطارات ذات أشكال وصور متحركة واندماجها مع رسوم هندسية.

❖ **المرحلة الثانية:** فترة التحول والانتقال، وتغطي زمنياً القرن الرابع الميلادي. شاع استعمالها لدى الطبقة البسيطة، وأهم الموضوعات المعالجة تمثلت في التشخيص الآدمي المستوحى من الميثيولوجية والآداب اللاتينية.

---

[3] **إدريس سهيل ، المنهل 2007–2008، بيروت، 2007، ص 801.**

[4] **Lavagne, Henri, La mosaïque, Ed, Presse Universitaire de France, Paris, 1987, p. 23.**

❖ **المرحلة الثالثة:** تمتد من بداية القرن الخامس وحتى القرن السابع الميلادي، وتعرف هذه المرحلة بأنها العصر الذهبي لإنتاج الفسيفساء اختفت الصور الميثولوجية لتحريم الدين المسيحي التصوير[5]، وظهرت بشكل أوسع الكتابات اللاتينية ضمن المشاهد المصورة.

وبالنسبة لتقنيات تصنيع الفسيفساء فهي ذاتها التي كانت تستخدم في الفترات السابقة مع اختلاف بسيط في مادة الصنع التي تشكل الزخارف على الفسيفساء، وقد اتبعها فنانو الفسيفساء في تنفيذ اللوحات الفسيفسائية وهي:

النوع الأول: أوبوستيسلاتوم (Opus Tesselatum):

تستخدم في هذه التقنية مكعبات صغيرة تتراوح أبعادها بين (1سم– 4سم)، ترتب في خطوط مستقيمة أو منحنية، وذلك تبعاً لطبيعة التصاميم والمشاهد التي تجسدها اللوحات، وقد استخدمت هذه التقنية في زخرفة الأرضيات على الأرجح منذ أواخر القرن الرابع ق.م.[6]

النوع الثاني: أوبوسسكتيل (Opus Sectile) :

في هذا النوع يتم استخدام مزيج من المربعات الفسيفسائية، مندمجة مع مربعات كبيرة من الرخام المتعدد الألوان، وقد استخدمت في تزيين الجدران والأرضيات، ويعود تاريخها إلى الربع الثالث من القرن الأول الميلادي[7].

النوع الثالث: يعرف باسم أوبوسفيرميكولاتوم (Opus Vermiculatum):

تستخدم في هذا النوع مكعبات صغيرة جداً بمقاس 50ملم وما دون، من الرخام بالإضافة إلى قطع أخرى مصنوعة من عجينة زجاجية، هذا وقد اعتمد الفنان السوري على تطبيق إحدى التقنيات في تشكيل لوحاته أو الدمج بين تقنيتين في لوحة واحدة.

الآن سنحاول في هذا البحث التطرق لدراسة اللوحات التي تندرج ضمن السجاد الفسيفسائي الذي انتشر بشكل واسع في سورية كبلاط ضمن المنشآت المعمارية (كنائس، منازل). فقد عمد الفنانون خلال القرون الأولى من العصر البيزنطي إلى استخدام ثلاثة أنواع من الفسيسفاء وهي:

---

[5]**Rossi, J, La mosïque, Paris, 1971, p16.**

[6]Adam, J,T, La construction Romaine Materiaux et techniques, Paris, 1984,P 254.

[7]**Dunbabin,Katherin, Mosaics of the Greek and Roman Worid, Cambridge-London, 1999,p, 256.**

فسيفساء الأرضيات، وفسيفساء الجدران وفسيفساء العقود والأقواس والقباب، وبالنسبة للزخارف فقد انتشرت الأنماط الزخرفية المجردة (الهندسية، والنباتية والحيوانية) على حساب المشاهد الروائية التي أصبحت نادرة؛ لأن رجال الدين رفضوا السير فوق صور الشخصيات المقدسة[8].

وقد ظهرت زخرفة جديدة شهدت انتشاراً كبيراً نهاية القرن الرابع الميلادي والعقود الأولى من القرن الخامس الميلادي؛ إذ وجدت ابتكارات لتشابكات زهرية وتربيعات من كل الأنواع مترافقة أو غير مترافقة مع موضوعات حيوانية ونباتية[9]؛ لتشكل بذلك نموذجاً رائعاً ومتميزاً من الفسيفساء التي أطلق عليها اسم السجاد الفسيفسائي كونها غطت أرضيات مباني دينية أو سكنية، احتوت على أنماط مختلفة ومبتكرة من الأزهار.

السجاد الفسيفسائي (mosaic the carpeting):

نوع من أنواع الفسيفساء الأرضية، تم فيها تمثيل أزهار محورة عن الطبيعة بنماذج عدة، وقد تكون مرافقة لتصويرات حيوانية أو زخارف هندسية أو تشكل لوحدها أساس الحقل في اللوحات الفسيفسائية، هذا ويتم توزيعها إما بخطوط متوازية فيما بينها وإما بشكل عشوائي على أن تملأ الأرضية كاملة. وأغلب هذه الأزهار نفذت باللون الأحمر والقرميدي والزهري محمولة على ساق قصيرة تحمل ورقتين، وأحيانا دون أوراق ذات لون رمادي، فوق أرضية بيضاء أوكريمية، هذه الأخيرة (الأرضية) نفذت في أمثلتنا الواردة بطريقتين: الأولى نفذت بمكعبات متوازية أفقية وعمودية وبالألوان المراد تنفيذها لتتشكل اللوحة، أما الطريقة الثانية فنفذت فيها المكعبات بأسلوب مقوس متراصة فوقها بعضها بعضاً لتعطي الشكل الحرشفي (the scalymosaic) ، وضمن كل حرشفة نشاهد زهرة محورة عن الطبيعة لتشكل الخلفية المراد تنفيذها.

[8]Graber,A, Greek Mosaics of Byzantine Period, Amentro-Unesco art book, Milano, 1964,P, 5-6.

[9] بالتي، جانين، المكونات الكلاسيكية والشرقية في فسيفساء تدمر، ت هزار عمران، م 41، الحوليات الأثرية السورية، دمشق، 1999، ص 321.

أنواع السجاد الفسيفسائي:

كما ذكرنا أعلاه أن هذا النوع من السجاد كان عبارة عن زخرفة لخلفية المشاهد الفسيفسائية التي تنوعت موضوعاتها، وزينت بأزهار محورة عن الطبيعة تضمنت نوعين إما مفردة ضمن اللوحة وإما مشكلة شبكة من صفوف الأزهار. وقدمت الكثير من المواقع الأثرية السورية بعضا من لوحات الفسيفساء أعطت شاهدا على إبداع الفنان السوري المتمثل في ابتكار هذه الأنواع الزهرية السابقة الذكر.

النوع الأول: أزهار مفردة محورة عن الطبيعة بأصناف عدة:

1) أزهار محورة برأس مثلث:.

تم تصوير هذا النوع من الأزهار متناثرة في خلفية اللوحات، مرافقة للحيوانات والطيور والنباتات، الساق قصير جداً، والألوان المستخدمة أخضر، وبيج، وأحمر قرميدي، نفذت بتقنية أوبوسس يتيلايوم، وهذا ما نجده في عدة لوحات: الأولى كانت ترصف أرضية كنيسة في موقع حورته[10]، فقد تم اكتشاف مجمع ديني تمثل في كنيسة القديس فوتيس وكنيسة القديس ميخائيل ودار معمودية[11]يفصل بينهما رواق، وتنوعت المشاهد التي رصفت فيها أرضية الكنيستين (مشاهد ذات أنماط هندسية، حيوانية، نباتية وبشرية)، في إحدى لوحات الرواق الجنوبي فيكنيسة ميخائيل التي تؤرخ سنة 483م، تظهر اللوحة مجريات معركة ومطاردة بين الحيوانات استخدم في تنفيذها عدة ألوان ابيض، أسود، رمادي كاشف، رمادي غامق، بني، بيج، أخضر، أحمر، وردي، قرميدي، زيتي، أصفر، فوق أرضية مزهرة، عبارة عن أزهار مكررة محورة لها رأس مثلث بلون أحمر، أخضر وبيج (الشكل 1) اللوحة معروضة حالياً في المتحف الوطني بدمشق بعد إعادة ترميمها.

10 تيريزا، ماريا، كانيفيه، بيير: 1977–1978م، موسما التنقيب الأثري في (حورته) آفاميا في عامي 1974–1975، ترجمة، بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، المجلد 27–28، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.

[11]Canivet, P: 1975, La Mosaïque d'Adam dans l'église Syrienne du Haurte du Ve siècle dans cahiers archéologiques, XXIV, P 49-65.

Balty ,J, 1977, Mosaïques Antiques de Syrie, Bruxelle P 128, 129.

الشكل (1): فسيفساء حورته، Balty, Janine: 1995

في إحدى لوحات كنيسة كفر روما الواقعة إلى الجنوب من معرة النعمان التي تعود إلى نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية القرن السادس الميلادي[12]، نلاحظ أنالحقل عبارة عن زخارف حرشفية حدد أرافها بمكعبات ذات لون رمادي توزعت ضمنها أزهار محورة عن الطبيعة لها رأس مثلث بألوان بيج وزهر وأحمر قرميدي، مع ساق قصير نفذ بلون أخضر مع مكعبين صغيران (الشكل 2).

الشكل (2): فسيفساء كفر روما، Abd Allah, kamite, 2009

[12]**Douncell, Voute,1988, P 457.**

2) أزهار محورة برأس معين:.

تعد فسيفساء كنيسة كفر طاب والمؤرخة في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي وبداية القرن السادس الميلادي من أجمل لوحات السجاد الفسيفسائي التي تمثل مشهد أسد يطارد غزالاً، ومثلت فيها الأزهار المحورة عن الطبيعة بشكلين[13]. الأول صفوف من الأزهار تناوبت بين زهرة بأربع تويجات، دون وجود ساق، بلون أخضر وبيج أحمر قرميدي وزهر، وزهرة محورة عن الطبيعة لها رأس معين مع تحديد رأس الزهرة بلون أخضر، وقد امتد على جانبيها خارج حدود المعين، والساق نفذت بلون أخضر مع وجود ورقتين[14] (الشكل 3).

الشكل (3): فسيفساء كفر طاب، Abd Allah, kamite, 2009

وفي لوحة أخرى عرفت باسم فسيفساء الأيل تم اكتشافها في إحدى غرف البيوت في حماه، واللوحة مستطيلة الشكل بأبعاد 2.945*2.485م، تعود إلى القرن السادس الميلادي، معروضة في متحف آفاميا[15]، وهي تمثل أيلاً على أرضية بيضاء عليها خطوط أفقية من الأزهار المحورة

[13] تبعد 18 كم جنوب معرة النعمان، اكتشفت لوحات الفسيفساء في كنيسة زينت اللوحات الفسيفسائية فيها حنية وصحن الكنيسة بمساحة 33م2، نفذت اللوحات بتقنية أوبوس تسيلاتيوم.

[14]Abd Allah, kamite., 2009, Mosïques antiques du musée de Ma'arret An-Nouman (Syrie du Nord), étude décorative, iconographique, symbolique et épigraphique, thèse de doctorat, université de la Sorbonne, Paris 1, vol. 1 p. 119-220.

[15] زقزوق، عبد الرزاق: متحف آفاميا للفسيفساء، مطابع وزارة الثقافة 1990 وص 67، 68.

برأس معين استخدم فيها اللون القرميدي والرملي والزهر والأخضر[16]. تم توزيعها على أرضية اللوحة في صفوف متوازية متساوية البعد عن بعضها بعضاً، الساق قصيرة بلون أخضر ورأس الزهرة بلون أحمر قرميدي مع حجر بيج يتوسط المعين، وأُستخدمت تقنيتا أوبوس تيسيلاتيوم، وأوبوس فيرميكولاتوم، والأمثلة عن هذا النموذج متعددة[17]

3) أزهار محورة برأس قلب:.

مثل هذا النوع من الأزهار كلوحة كاملة[18] من دون أن يكون مرافقاً لمشهد حيواني أو هندسي .والحقل في اللوحة، عبارة عن صفوف من الأزهار المحورة عن الطبيعة متشكلة من اتحاد أربعة رؤوس قلبية متحدة في المركز، مثلث دون وجود ساق، تعود هذه اللوحة لنهاية القرن الخامس ميلادي[19]،ونفذت بتقنية أوبوس تيسيلاتيوم (الشكل 4). وفي بعض الأحيان تم استخدامها متناثرة على خلفية المشهد الذي ضم طيوراً، أو بخطوط متوازية غير متوافقة أفقيا وبحجمين كبير وصغير، استخدامه كان قليل جاءت غالبا مع تزينات أخرى لأزهار محورة برأس مثلث أو برأس معين، الساق قصير والرأس بلون أحمر قرميدي وبيج وأصفر، واستخدمت تقنية أوبوس فيرميكولاتيوم، وخير مثال وفسيفساء الدير[20].

---

[16]Balty ,J, 1977, p. 134.

[17]فسيفساء هواة يعود تاريخها لعام 567م، معروضة في متحف دمشق. وفسيفساء تل خنزير تعود لنهاية القرن الخامس الميلادي. وفسيفساء معراتا تعود لنهاية القرن السادس الميلادي، وأخيرا فسيفساء كنيسة التمانعة ذات الطراز البازيليكي التي بلغت مساحة أرضيتي الكنيستين فيها 400م^2. يعود تاريخ هذا المجمع الديني لنهاية القرن الخامس الميلادي.

[18] فسيفساء قديمة كانت محفوظة في كندا، من المحتمل أن تكون هذه اللوحة قد زينت رواق حائط، معروضة في متحف معرة النعمان..Abd Allah, kamite., 2009, p 234

[19]F. Baratte,N,Duval, Catalogue des mosïques et paléochrétiennes du musée du Louvrem pqris. 1978, p122.

[20]رصفت هذه اللوحة أرضية دير سرياني يعود للقرن السادس الميلادي، في منطقة جرابلس شمال شرق محافظة حلب Balty ,J, 2008., Le Martyrion saint jean dans la Moyene valle de Euphrate, Damascus, p. 11-13

الشكل (4) فسيفساء قديمة كانت محفوظة في كندا،
Abd Allah, kamite, 2009

4) أزهار محورة برأس مسدس:.

يعد هذا النموذج من الأزهار نادرة التمثيل، ولدينا مثال واحد فقط من موقع تل عار [21] اللوحة مستطيلة الشكل بإطار ثلاثي هندسي، الأول يحوي زخارف هندسية، والثاني خال من أي زخارف، أما الإطار الثالث والداخلي فقد احتوى على عناصر زخرفية هندسية تم استخدام أزهار محورة عن الطبيعة لزهرة بأربع بتلات لملأ الفراغات الهندسية، أما الحقل فهو عبارة عن تصوير لمشهد طبيعي يظهر فيه زوجان من الحيوانات (نمر وغزال – نمر وحمار) متقابلان تفصل بينهما شجرة رمان. والخلفية توزعت فيها ضمن خطوط أفقية أزهار محورة من الطبيعة برأس سداسي، مع وجود ورقتين على الساق القصيرة، والمميز في هذه اللوحة كون خطوط الأزهار عمودية على الشجرة ومتوافقة مع اتجاه الحيوانات.

[21]نصر حسين، أمل، التمثيلات الحيوانية في اللوحات الفسيفسائية البيزنطية في الشمال السوري (من القرن الرابع حتى القرن السابع الميلادي)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2018، ص 94،93، الأشكال 50، 51، 52، 53.

5) أزهار محورة بأربع بتلات:.

فسيفساء من موقع أبو دفنة القريبة من معرة النعمان، ورصفت أرضية كنيسة بمساحة 46م2، تؤرخ في نهاية القرن الخامس الميلادي، وإحدى اللوحات لها شكل مستطيل نفذت فيها الأرضية بشكل حراشف بداخلها تم توزيع زهرة محورة عن الطبيعة أربع بتلات دون وجود ساق بلون أحمر قرميدي نفذت اللوحة بتقنية أوبوس تيسيلاتيوم[22] (الشكل5).

الشكل 5: فسيفساء ابو دفنة،k,Chehade, 1997

يمكن القول إنه تم الاعتماد على هذا النوع من الأزهار لملء الفراغ الحاصل عن تشكيل العناصر الزخرفية في اللوحة الفسيفسائية، تم تمثيلها دون ساق مكونة من تاج الزهرة فقط بأربع بتلات متحدة في المركز وكأنها تشكل صليباً، كل بتلة عبارة عن رأس معين، أو البتلات الأربعة متحدة لتشكل دائرة تكون البتلة الواحدة ربع دائرة، بلون أحمر قرميدي وبيج، وطبقت بتقنية أوبوس تيسيلاتيوم. وهذا النموذج نفذ في لوحة اكتشفت في فسيفساء كنيسة معرة بيطار[23] ، تؤرخ سنة 469/450م، مساحتها 9م٢،معروضة في متحف معرة النعمان، وفي لوحة فسيفساء كنيسة من موقع هواة[24] تؤرخ بحسب نص كتابي أعلاها لعام 568م، معروضة في المتحف الوطني بدمشق.

---

[22]k,Chehade, 1997,museeMa'arat Al Nou'man، P 14. Abd Allah, kamite, 2009, p. 198.

[23] معرة بيطار: حاليا موقع أثري يقع إلى الجنوب الشرقي من قرية حاس يضم عدة مدافن وكنيسة ماتزال أساساتها وجدرانها مدفونة تحت الأرض..Abd Allah, kamite, 2009, p. 102-106, 249

[24]Doncell, Voute, 1988, p. 140. Abd Allah, kamite, 2009, P. 90.

أما بالنسبة للنوع الثاني من الأزهار فقد اعتمدها الفنان السوري لتشكيل شبكة من صفوف الأزهار التي غطت حقل اللوحات بشكل كامل وضمت نوعين:

النوع الثاني: أزهار شكلت شبكة من صفوف الأزهار ولها نوعان:

1) أزهار مكونة للشبكة تضم بدورها صنفين:

أ- زهرة بأربع بتلات:.

هذه اللوحة هي واحدة من عشر لوحات بمساحة 70م٢ رصفت كنيسة أم نير القبلية[25]التي تؤرخ سنة 489م، ونفذت بتقنية أوبوس فيرميكلاتيوم ومعروضة في متحف معرة النعمان (الشكل6). واللوحة عبارة عن قطعتين لها إطاران: خارجي يمثل موضوع النيل[26]، والإطار الداخلي هندسي، أما الحقل فهو عبارة عن شبكة من صفوف الأزهار المحورة عن الطبيعة كل زهرة عبارة عن اتحاد أربع بتلات برأس معين بلون بيج وقرميدي وأخضر، وقد نتج عن تقاطع صفوف الأزهار شبكة من المعينات، وزعت ضمنها أزهار محورة عن الطبيعة مكونة من أربع بتلات برأس قلبي متحدة في المركز، بلون أحمر قرميدي وبيج وأخضر، بالتناوب مع شكل هندسي معين[27]

[25] أم نير القبلة: تقع الى الجنوب من معرة النعمان.

[26] موضوع النيل: موضوع زخرفي استخدم في الفسيفساء يشمل على تمثيلات نهرية لها رأس جرسي و بط ومراكب، مستوحى من الزخارف المصرية.

[27]Chehade ,K, Le Musée Ma'aret Al N1997, p11,12.

الشكل (6): فسيفساء أم نير القبلية،Abd Allah, kamite, 2009

ب- زهرة محورة برأس معين:.

هذا النوع من الزخرفة فريد من نوعه، لدينا لوحة واحدة بمساحة 2م^2 اكتشف في منطقة تتبع معرة النعمان، وهي عبارة عن كسرات ربما كانت تشكل أرضية كنيسة أو منزل، نفذت بتقنية أوبوس فيرميكلاتيوم. وتؤرخ نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية القرن السادس الميلادي، معروضة في متحف معرة النعمان (الشكل 7)، مثلت فيها صفوف من الأزهار محورة برأس معين بلون زهر وبيج وأخضر، داخل المربعات الناتجة عن تقاطع الصفوف تم تمثيل عناصر نباتية، إما زهرات جرسية بلون أخضر ورملي أو ساق بزهرة واحدة بلون أخضر وبيج وزهر وأحمر قرميدي أو ساق نباتي بزهرة واحدة بلون أخضر وبيج وزهر[28].

[28]**Abd Allah, kamite, 2009, P102, 103.**

الشكل (7): فسيفساء معرة النعمان،Abd Allah, kamite, 200

2- أزهار صورت في مربعات الشبكة ولها نوعان:

النوع الثاني الأزهار المصورة داخل مربعات الشبكة مع ضرورة الإشارة إلى أن الشبكة ناتجة إما عن تقاطع صفوف من أزهار أو تقاطع خطوط مستقيمة، وقد تضمنت نوعين:

أ- زهرة بأربع بتلات:

زهرة بأربع بتلات مثلت دون ساق متحدة في المركز برأس قلب لكل بتلة، نفذت بطريقة أوبوس فيرميكلاتيوم، وهذا ما نجده في فسيفساء أم نير القبلة السابقة الذكر.

ب- ساق نباتي يحمل زهرة:

اكتشف في قرية جرجناز[29] التابعة لمنطقة معرة النعمان ثلاث لوحات بمساحة 14م٢ تعود إلى الربع الأخير من القرن الخامس الميلادي، وهي معروضة في متحف معرة النعمان (الشكل 8)، وتمثل مواضيع حيوانية ونباتية وهندسية، وإحدى هذه اللوحات لها إطاران، الأول هندسي والثاني نباتي، يمثل أوراق الأكانتس بلون بني ورملي وأخضر وقد التفت وشكلت ميداليات تحوي على حيوانات (غزال وبط) وإناء، والحقل عبارة عن شبكة من الخطوط المتقاطعة

[29]جرجناز: تقع الى الشرق من معرة النعمان بنحو 15كم، اكتشفت إلى جانب الطريق العام الذي يمر وسط البلدة مجموعة من كسرات للوحات فسيفسائية.

التي تشكل مربعات داخل هذه المربعات أزهار محورة برأس معين بلون أحمر ورملي وأخضر[30]، والساق قصيرة يتوسطها مكعب رمادي اللون.

الشكل 8: فسيفساء جرجناز، Abd Allah, kamite, 2009

الخاتمة:

بناء على ما تقدم نلاحظ تغير المفاهيم الفنية للفسيفساء السورية خلال العصر البيزنطي، وإدخال عناصر جديدة لم تكن موجودة خلال العصر الروماني، وشكلت الأزهار المحورة عن الطبيعة فيها أساسا لبعض اللوحات لتتلاءم مع المقتضيات الفلسفية للعقيدة الروحية، وتكون مقدمة لتطور جديد في فن الفسيفساء، وظهر ذلك جليا في فسيفساء الجامع الأموي الكبير في دمشق فمشهد الجنة وما تضمنه من أشجار ومشاهد نضرة استلهمت من المدرسة الفنية السابقة أي من المدرسة التي ازدهرت خلال العصر البيزنطي.

وبعد دراسة معظم اللوحات المعروفة باسم (الفسيفساء السجادي ذي الأرضيات المزهرة) نلاحظ أنهكان واسع الانتشار في سورية، إذ اعتمد الفنان السوري رسم مجموعة من الأزهار المحورة عن الطبيعة، وقام بنثرها على خلفية لوحاته بشكل مبعثر أو ضمن خطوط متوازية، كما

[30]**Abd Allah, kamite, 2009, P187, 188.**

شكل منها صفوفاً مكررة مكونة شبكة ليعطي أساسا للوحة الفسيفسائية[31]. ويعتقد أن أصل هذه النماذج الزخرفية (الأزهار المحورة) المشتركة بين الفسيفساء والسجاد هي ذات أصول ساسانية أي أن الفنان السوري تأثر بالفن الساساني الذي كان متميزاً بتمثيل الأزهار في السجاد نظرا لشدة تعلقه بتمثيل الحدائق والأزهار والأشجار والطبيعة ككل[32].أما رمزيتها فكانت تمثل الدم النازف من السيد المسيح على الصليب[33]. وأما عن تقنية رصف المكعبات المشكلة لخلفية اللوحة لاحظنا أن لوحات المنطقة الجنوبية المكتشفة في وادي الزيدي بدرعا أغلبها اعتمد الشكل الحرشفي المحدد بمكعبات سوداء، وضمنها مثلت الزهرة المحورة عن الطبيعة، هذا الأسلوب في التركيب الفسيفسائي على شكل حرشفي لاقى انتشاراً واسعاً في الفترة البيزنطية، وأغلبها يعود إلى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي[34].

[31]Abd Allah, kamite, 2009, P232, 349.

[32]Balty ,J, 1984, P 11,12,13.Levi, Doro, AntiochMosaic Pavements, Princeton, 1947, p. 436.

[33] ليلا، عفاف، 2010، ص93.

[34]أرضيات فسيفسائية في قبرص، منشورات فيلكس رافينا، إيطاليا، 1988، ص 54،56.

المراجع الأجنبية:

- Abd Allah, kamite, 2009, Mosïques antiques du musée de Ma'arret An-Nouman (Syrie du Nord), étudedécorative, iconographique, symbolique et épigraphique, thèse de doctorat, université de la Sorbonne, Paris 1, vol. 1.
- Adam, J T: 1984, Laconstruction Romaine Materiaux et techniques art book, Millano.
- Balty, Janine: 2008, Le Martyrion saint Jean dans La Moyene valle de Euphrate , Damascus.
- Balty,Jean CH: 1999, A Pamee site et museeDamas.
- Balty, Janine: 1995, Mosaiques Antique Du Proche Orient chronologie, Interpretation, Paris.
- Balty, Janine: 1989, Mosaique de Syrie, Archeologie et Histoire de la Syrie. Germany.
- Balty, Janine: 1984, Les mosaiques de Syrie au V e s et leurs,repertoires, Bruxelle.
- Balty, Janine: 1977, Mosaiques Antiques de Syrie, Bruxelle.
- Canivet, P: 1975, La Mosaique d'Adam dans l'eglise Syrienne du Haurte du vesiecle dans cahiers archeologiques.
- Dunbabin, Katherin, Mosaics of the Greek and Roman Worid, Cambridge-London, 1999.
- Chehade, K: 1997, Le museeMa'arat Al Nou'man, Beyrouth.
- E, Fisher, Flugel: 1971: History and Technique of the mosaic, New York.
- F. Baratte,N,Duval, Catalogue des mosïques et paléochrétiennes du musée du Louvrempqris. 1978,
- Grabar A: 1964, Greek Mosaics of Byzantine Period, AMentro – art book, Milano Unesco.
- Lavagne, Henri, La mosaïque, Ed, Presse Universitaire de France, Paris, 1987.
- Rossi, J, La mosïque, Paris, 1971.

المراجع العربية:

- إدريس سهيل، المنهل 2007-2008، بيروت، 2007، ص 801.
- بالتي، جانين: المكونات الكلاسيكية والشرقية في فسيفساء تدمر، ت هزار عمران، م 41، الحوليات الأثرية السورية، دمشق، 1999، ص 321.
- تيريزا، ماريا، كانيفيه، بيير: 1977-1978م، موسما التنقيب الأثري في (حورته) آفاميا في عامي 1974-1975، ترجمة، بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، المجلد 27-28، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.
- شحادة، كامل: فسيفساء كنيسة موقا، الحوليات الأثرية السورية، وزارة الثقافة، مجلد22، 1972.
- عبد الرزاق، زقزوق: متحف آفاميا للفسيفساء، مطابع وزارة الثقافة، 1990، ص67، 68.
- ليلى، عفاف: زخرفة واجهات المباني السكنية في جبل الزاوية خلال العصر البيزنطي (المدن الميتة)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص34,32.